عن فلسطين وعن الديانة اليهودية ، وشهدت اول تنظيم لها في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة « بازل » بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وهو المؤتمر الذي ينسب اليه زعيم الحركة الصهيونية ومؤسسها ثيودور هرتزل ، مولد الدولة اليهودية(٢) .

كانت اوروبا انذاك تغلي بنتيجة الحدث الكبير الذي غير وجه القارة وقفز بها من العصر الاقطاعي البدائي الى عصر تشكل وسيطرة الطبقة البرجوازية ، وبروز هذه الطبقة كقوة تاريخية جديدة استطاعت تحطيم الاقطاعية ونظاميها الاقتصادي والاجتماعي ، واقامة علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة ، واحلال نمط جديد من العلاقات الانتاجية والاجتماعية ، يستمد مقوماته الاساسية من تحطيم الانتاج الطبيعي البدائي للعصر الاقطاعي ، وتركيز نمط الانتاج التبادلي والانتاج البضاعي مكانه ، وبالتالي اخضاع الريف والارض لمتطلبات السوق ، والحاجة الى توسيع هذه السوق وضمان استقرارها بما يتوازى ويتكامل مع توسيع الانتاج وضمان تصريفه ، مما يتطلب بالضرورة القضاء نهائيا على التبعثر الاقطاعي والغاء الحواجز والحدود الكفيلة بايجاد سوق مستقلة واسعة وحرة .

هذه الثورة الاقتصادية والاجتماعية التي قادتها البرجوازية ضد الاقطاعية ولمصلحة التقدم في الحقلين الاقتصادي والاجتماعي ، كان لا بد لها أن تجد انعكاسها في الحقلين السياسي والفكري .

وهكذا كان النتاج الطبيعي لهذه الثورة البرجوازية ظهور فكرة القومية ، والدولة القومية البرجوازية التي استمدت مبررها المادي والاساسي من حاجة البرجوازية النامية والمندفعة باستمرار الى امام ، الى تأمين سوق وطنية مستقلة خاصة بها ، والتي تلازم ظهورها عبر التاريخ مع نمو قوى الرأسمالية وقدرتها على تحطيم الاقطاعية . « في العالم كله كان عهد انتصار الرأسمالية التام على الاقطاعية مقترنا بالحركات القومية . ان اساس تلك الحركات الاقتصادية يقوم على ان تفوق الانتاج البضاعي تفوقا تاما يتطلب استيلاء البرجوازية على السوق الداخلية وتوحيد الاراضي التي يتكلم سكانها لغة واحدة في دولة واحدة »(٣) . « وهكذا فالسعي الى اقامة دولة قومية تستجيب على الوجه الاكمل لمتطلبات الرأسمالية الحديثة هذه . هو أمر ملازم لكل حركة قومية ، وتدفع الى ذلك اعمق العوامل الاقتصادية ، ومن هنا يبدو ان الميزة النموذجية والشيء الطبيعي في المرحلة الرأسمالية هو قيام الدولة القومية في اوروبا الغربية كلها بل في العالم المتمدن كله »(٤) .

اذن كان العصر الذي ظهرت فيه الحركة الصهيونية ، عصر انتصار الطبقة الرأسمالية والبحث عن سوق مستقلة وطنية خاصة بها وظهور فكرة القومية البرجوازية كتعبير عن الحاجة الى سوق مستقلة حرة تضمن استمرار تدفق الانتاج البضاعي وبالتالي نمو الطبقية القائدة للمجتمع في هذا العصر . كما كانت الشرائح الاجتماعية اليهودية في هذا العصر متشكلة تاريخيا كباقي الشرائح الاجتماعية الاخرى ، بمعنى انه كانت هناك البرجوازية اليهودية والبروليتاريا اليهودية ، ولم يكن هناك لسوء الحظ ، الاقطاعية اليهودية ، لان اليهود — كما هو معلوم تاريخيا — لم يكن لهم على مر العصور حق امتلاك الارض والتصرف بها ، وهو الحق الذي كان مقصورا على طبقة النبلاء والاشراف ورجال الدين المسيحيين ، مما اضطرهم الى التعامل برأس المال السائل اي المال والاملاك المنقولة ، وكانت هذه المهنة الاجتماعية حكرا لهم لسببين :

١ — تحريم امتلاك اليهود للارض وحصر هذا الامتلاك بالمسيحيين ، النبلاء والاشراف ورجال الدين منهم خاصة .